أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات:

يُزجي: زجاه وأزجاه: ساقَه؛ دفَعه برفق (الأقرب).

رُكامًا: الركام: الشيء المتراكم بعضُه فوق بعض (الأقرب).

الوَدْق: المطرُ (الأقرب).

سنا: السَّنَى: البرق (الأقرب)

التفسير: أي ألا تعلم أن الله تعالى يسيّر السحب ببطء على شكل ذرات مائية، ثم يجمعها ويركمها، ثم ترى المطر الخفيف أو الغزير يخرج من خلالها. كذلك يرفع الله نوره أيضا، فهو يبدو في بدايته كغبار خفيف مثل ذرة من الماء، ويكون خفيفًا في البداية ثم يزيده الله ويُنـــزل على الناس كما ينـــزل المطر الغزير.

ثم يقول الله تعالى ﴿وَيُنـــزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾. ولفظ الجبال هنا يفيد الكثرة حيث يقال "فلان يملك جبالا من فضة وذهب".. أي يملكهما بكثرة. وعليه فالمراد أن الله تعالى ينـــزل أحيانًا من السماء مطرا غزيرا فيه البَرَدُ الكثيرُ، فيصيب بالبَرَد من يشاء وينقذ منه من يشاء.. بمعنى أن البَرَد كما يدمر الزروع كذلك تؤدي شريعة الله إلى هداية البعض ورقيهم وإلى دمار البعض الآخر؛ وكما أن ضوء البرق يعمي العيون أحيانًا كذلك فإن نور الشريعة يعمي الكافرين أحيانا، فيصيبهم بالضرر بدلا من النفع.

ثم يقول الله تعالى ﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾.. أي أن العاقل يدرك بظاهرة اختلاف الليل والنهار أنه لا بد أن يأتي على الناس أدوار من الهدى وأدوار من الكفر.

وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٦﴾

التفسير: قوله تعالى ﴿واللهُ خلَق كلَّ دابّةٍ من ماءٍ﴾ يعني أنه تعالى قد خلق كل حيٍّ من الماء. وقد بين الله تعالى في هذه الآية أن الناس يستفيدون من الماء الروحاني أيضا بحسب استعداداتهم، فمنهم من يمشي على بطنه.. أي أنه يبقى مع الله تعالى ما دام بطنه يُملأ وما دام يُعطى النعم. ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان.. أي يحقق رقيا روحانيا عاليا. ومنهم من يكون كالأنعام.. أي يكون قليل العقل فلا يتوجه إلى الله تعالى بل يصرف همه كله إلى الأكل والشرب.

لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٧﴾

التفسير: لما كان الدين يدعو إلى الأمور الغيبية فلا يمكن أن ينفع ويهدي الإنسانَ إلا الدين الذي فيه آيات وبينات ومعجزات تكشف الغيب وتجعل خفايا الأمور واضحة جلية. أما إذا ظل الغيب غيبا والخفي خفيا فلا يكون هناك حافز للإيمان بالدين، ذلك لأنه لو لم يأت الدين لظل الغيبُ غيبًا. وعلى سبيل المثال، إن وجود الله تعالى غيب من الغيوب، ولولا الدين لظل وجوده تعالى وراء الغيب، ولكن أهمية الدين ونفعه لا يَثبُتان إلا إذا أظهر لنا الدينُ اللهَ تعالى من الغيب من

خلال المعجزات والبراهين وكأننا نراه عيانا، ولو حصل ذلك فلا شك أنه دين حق وإلا فهو شيء رديء لا ينفعنا وجوده ولا يضرنا عدمه.

تعالوا نر الآن كيف حقق الله وعده هذا لرسولنا الكريم ﷺ. كانت هند من أشد الناس بغضًا وعداء للرسول ﷺ، وكانت تحرض الكافرين بالشعر على قتال المسلمين في غزوة أُحد. ولما أصيب المسلمون بنكسة مؤقتة في القتال أعلنت هند بين الكافرين أن من يجدع أنف وأذن حمزة عمِّ الرسول ﷺ ويأتيها بكبده ستكافئه بجائزة كبيرة. فذهب الكافرون ومثّلوا بجثة حمزة. وعندما انتهت الحرب وعلم النبي ﷺ بما فُعل بجثة عمه أخذه حزن شديد، فحلف أنه سيفعل بجثث الأعداء بمثل ما فعلوا بجثة عمه (السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثالث: غزوة أحد، تحريض هند والنسوة معها، وحزن الرسول ﷺ على حمزة). فنهاه الله تعالى عن ذلك وأمره بأن يعفو عن الكفار ويصفح عنهم رغم كل ما فعلوه. (آل عمران: ١٢٩-١٣٠)

وقد تجلت فيما بعد الحكمة البالغة وراء هذا الحكم الرباني. لا شك أن هندًا لم تكن من المقاتلين بل كانت من النسوة اللاتي حرّضن الرجال على القتال، لكن كان من بين هؤلاء الكافرين من دخل في الإسلام فيما بعد وخاض الحروب دفاعا عن الإسلام حتى مات أو أصيب بجراح شديدة حتى أوشك على الموت. ولو أن هؤلاء قُتلوا في الحرب ضد المسلمين وفُعل بهم ما فعلت هند بجثة حمزة لما ظهرت تلك الآيات الإلهية التي ظهرت فيما بعد على أيديهم. وكان مِن هؤلاء عكرمة بن أبي جهل وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم. فكأن الله تعالى عندما نهى النبي ﷺ عن الانتقام منهم إنما قال له في الواقع: إنك لا تعلم المستقبل، بل نحن نعلم الغيب ونعلم أن الذين تغتاظ منهم الآن سيخرُج منهم مَن سيقدّمون تضحيات عظيمة في سبيل الإسلام، لذا فنُبقيهم أحياء لنحقق على أيديهم ما نريد، ولن نحقق لك ما تريد منهم من الانتقام الشديد.

خذوا مثلاً عكرمة رضي الله عنه ابن أبي جهل. لقد رأى النبي ﷺ في المنام أن ملاكا جاءه بعنقود من العنب، فسأله: لمن هذا؟ قال الملاك: هو لأبي جهل؟ ففزع النبي ﷺ من جوابه واستيقظ (المستدرك للحاكم: كتاب معرفة الصحابة، باب رؤيا رسول الله ﷺ

في إسلام عكرمة). لقد قال ﷺ في نفسه: كيف يمكن أن يقف رسول الله وعدو الله هذا في صف واحد، وكيف يتلقى الاثنان عنب الجنة؟ ولكن لما دخل عكرمة في الإسلام فهم النبي ﷺ تأويل رؤياه، إذ كان المراد من أبي جهل ابنه عكرمة الذي أسلم. وقد حسن إسلامه جدًّا، حيث اشترك في الحروب التي نشبت بين المسلمين والمسيحيين فيما بعد. وفي إحدى هذه المعارك قرر الصحابة مرة أن يهجموا على قلب جيش العدو فجأة لكي لا يتجاسروا على الهجوم على المسلمين. وكان عكرمة من بين الذين تم اختيارهم لهذه الحملة. ويذكر التاريخ أن هذه الكوكبة من المسلمين انقضّت على قلب الجيش الكافر كما ينقضّ الصقر على العصفور. كانوا ستين شخصا، وكان عدد العدو ستين ألف مقاتل. وكان الملك الرومي المسيحي قد وعد قائده أنه لو انتصر على المسلمين سيهَب له نصف ملكه، كما يزوّجه من ابنته. ولكن هؤلاء الستين شقوا صفوف الأعداء ووصلوا إلى قلب الجيش وقتلوا قائدهم. فاستولى الرعب على قلوب الجيوش المسيحية، فلاذوا بالفرار. ولما كان هؤلاء الستين قد شقّوا طريقهم إلى قلب جيش العدو من بين ستين ألف سيف ووصلوا إلى غايتهم، فقد سقط بعضهم جرحى. وحين وصل إليهم المسلمون وجدوهم مطروحين على الأرض. ولما كان البلد حارًّا، وربما كان الفصل صيفًا، وكان هؤلاء قد شقّوا طريقهم بين القوم ضاربين إياهم بسيوفهم، فلا بد أن يكون العرق قد خرج من أبدانهم بكثرة، فاشتد بهم العطش وكانوا يتلهفون لشرب الماء. فمر أحد المسلمين الذين خرجوا يتفقدون إخوانهم الجرحى بعكرمة وعرفه، فأسرع إليه بالماء وقدّمه إليه، فنظر عكرمة في من حوله، فوجد مسلمًا جريحًا يضطرب من شدة العطش. فلم يشرب عكرمة قطرة من الماء، بل قال لهذا المسلم: انظر هناك أخ من المسلمين القدامى يضطرب من شدة العطش، إنه أحق مني بالماء، فاذهب إليه واسقِه. فأسرع هذا المسلم إلى ذلك الجريح وقدم إليه الماء. فرفض أن يشربه وقال: هناكَ مسلم جريح آخر، فاذهب إليه واسقِه، فهو أحقّ مني به. فذهب إليه ولكنه أيضا رفض شرب الماء: وقال له اسق أخا لِي آخر. فلما ذهب إليه وجده قد فارق الحياة. فرجع هذا المسلم إلى هؤلاء الجرحى واحدا واحدا، فوجدهم قد فارقوا

الحياة. ولما عاد إلى عكرمة وجده أيضا قد فاضت روحه (الاستيعاب في معرفة الأصحاب مجلد ٢ ص ٥٢٠: باب عكرمة، والكامل في التاريخ لابن الأثير مجلد ٢: سنة ١٣، ذكر وقعة اليرموك، ومحاضرات الأمم الإسلامية مجلد ١ ص ٢٨٨-٢٨٩).

فما أعظمَ التضحيةَ التي قدّمها عكرمة ﷺ، وما أعظمَ الآيةَ التي رآها الناس. كان المسلمون قد سمعوا من الرسول ﷺ أنه قد رأى في المنام ملاكا بيده عنقود عنب، فسأله: لمن هذا؟ قال لأبي جهل. فاستيقظ فزعًا وقال: كيف يمكن أن يكون عدو الله ورسوله سواء. فلما رأوا بأعينهم كيف ضحى عكرمة بنفسه في سبيل الإسلام في وقت حرج، وكيف كان متعطشا لقطرة من الماء، ومع ذلك رفض أن يتذوقها ما لم يشرب إخوانه الآخرون ويرتووا، فلا شك أن هذا المشهد قد زادهم إيمانا مع إيمانهم، ولا جرم أنهم قالوا في أنفسهم إن إسلام عكرمة كان بحد ذاته أمرًا شبهَ مستحيل، أمّا أن يبلغ بعد إسلامه هذه الدرجة العالية من الإيمان والإخلاص والتضحية فكان أمرًا مستحيلا آخر، ولكن الله تعالى حقق في عكرمة ما كشف على نبيه في الرؤيا. كانت هذه الرؤيا تعني أن عكرمة ﷺ سيموت عطشان كما يشير إلى ذلك الماء الموجود في العنب، ولكن ملائكة الله سيسقونه عصير عنب الجنة.

فلا غرو أن هذه الواقعة كانت من الآيات المبينات والتي لا بد أن يكون المسلمون قد ازدادوا برؤيتها إيمانا مع إيمانهم بالله تعالى وبالإسلام. وهذه هي الآيات التي قد أشار إليها الله تعالى بقوله ﴿لَقَدْ أَنـــزلْنَا آيَات مُبَيِّنَات﴾.. أي أننا قد أنــزلنا من خلال القرآن الكريم آيات كاشفة لوجه الله تعالى وكأنها تُري الإنسانَ ربَّه عيانًا. إن الله تعالى شيء غائب بالنسبة للآخرين، ولكنه تعالى ليس بغيب للمسلمين إذ يتجلى لهم من خلال الآيات المبيّنات.

والمثال الآخر لهذه الآيات المبيّنات هو مثال عمرو بن العاص. كان ابنه عبد الله من الرعيل الأول من الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - حيث أسلم قبل أبيه بفترة طويلة، وهاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة. وكان يعرف الكتابة، ويكتب أحاديث الرسول ﷺ. كان يجلس في المسجد ينتظر خروج النبي ﷺ من بيته، فإذا

تكلم ﷺ بشيء كتبه. ولكن النبي ﷺ نهاه فيما بعد عن كتابة أحاديثه وقال له: إني أملي على الكَتَبة وحي القرآن الكريم، فلا تكتب أقوالي، لأني أخاف أن يرى الناس شيئا مكتوبا من كلامي فيظنوه من وحي القرآن الكريم. فلما دنا أجل أبيه عمرو بن العاص ذهب ليزوره، فوجده في غاية الكرب والاضطراب، يتقلب يمينا وشمالا ويقول: رب، اغفر لي، فذنوبي كثيرة. فقال له ابنه عبد الله: لماذا تحزن. كنتَ على خير، وستكون عاقبتك أيضًا خيرًا، إن شاء الله. فقد آمنت برسول الله ﷺ، وما زلت ثابتا على الإسلام، فلا داعي للقلق. فقال عمرو بن العاص: يا بُنيّ، صحيح ما تقول. فقد وفقني الله تعالى للإيمان بمحمد رسول الله ﷺ، ولكن ليتني مت عندها شهيدا في سبيل الله تعالى. يا بنيّ، لقد نشبت بعد النبي ﷺ حروب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقد اشتركت فيها إلى جانب معاوية، ولا أدري كم ارتكبت من الأخطاء. فالتفكير في هذه الأمور يزعجني. ثم قال: يا بني، عندما كنت أعادي الإسلام لم يكن أحد أبغض إلي من محمد رسول الله ﷺ، حتى كنت لا أُطيق النظر إليه، فكنت أغمض عيني كلما عرفت أنه ﷺ قادم، ولو سألني عندها أحد أن أصف له النبي ﷺ ما استطعت. فلما شرفني الله بالإيمان لم أُطِقْ أن أملأَ عيني إجلالاً له ﷺ إيمانا مني بأنه لا يحقّ لشخص آثم مثلي النظر إلى وجه هذا الشخص العظيم؛ ولو سئلتُ اليوم أن أصف وجهه ﷺ المبارك لما استطعت أن أصفه، إذ لم أره ﷺ في حالة الكفر بغضًا وحقدا، كما لم أره أيضًا في حالة الإيمان حبا وإجلالاً له ﷺ! (أسد الغابة: عمرو بن العاص، والطبقات الكبرى لابن سعد، المجلد الرابع: عمرو بن العاص)

فترى كيف وفق الله تعالى عَمرًا للإسلام رغم كونه هو وأبوه العاص من ألد أعداء الإسلام، ثم شرفه بمكانة مرموقة إذ قاد المسلمين في حروب عظيمة ضد أعداء الإسلام، حيث كان فاتح مصر.

يمكنك أن تتصور حالة إيمان المسلمين عندما كانوا يقرؤون أن أعداء الإسلام كمثل الوليد والعاص وغيرهما قد دخل أولادهم في الإسلام وقدّموا في سبيله تضحيات عظيمة رائعة.

ثم هناك هند التي ذكرتُ من قبل أنها كانت تبغض النبي ﷺ لدرجة أنها أمرت الكافرين بالتمثيل بجثة حمزة رضي الله عنه عم النبي ﷺ، فبقروا بطنه وجدعوا أنفه وقطعوا آذانه. ولما فتح النبي ﷺ مكة أمر بأسر بعض الناس وقتلهم وكانت هند من بين هؤلاء. ولما أرادت النساء أن يبايعن النبي ﷺ ذهبت هند متنقبة متنكرة وجلست بينهن. فأمرهن النبي ﷺ أن يعاهدنه – كما ورد في القرآن الكريم – على أن لا يسرقن ولا يزنين ولا يفترين ببهتان، ولا يشركن بالله تعالى. فلما ردد النبي ﷺ قوله "ولا يشركن بالله" لم تملك هند نفسها وقالت: ماذا تقول، يا رسول الله، هل تظن أننا سنشرك بعد كل ما حدث؟ لقد حاربناك نحن أهل مكة والعرب كلهم، وكنت وحيدًا وقلت إن الله معي وسينصرني، فقلنا: إن إلهك باطل زائف ولن ينصرك أبدًا، وأن آلهتنا أقوى من إلهك وستنصرنا ضدك. ومع ذلك انتصرتَ وانهزمنا. فلو كانت بآلهتنا قوة ولو كان إلهك كاذبًا لانتصرنا عليك حتمًا. فكيف نشرك بالله تعالى بعد رؤية هذه الآية العظيمة؟ فلما سمع النبي ﷺ صوت هند قال: وإنك لهند؟ فقالت من فورها: نعم أنا هند، ولكني قد أسلمت الآن وقد غفر الله تعالى ذنوبي كلها بسبب إسلامي، ولا يمكنك الآن أن تعاقبني. فقال النبي ﷺ: صدقتِ يا هند؟ * (البداية والنهاية، الجزء الرابع: فصل مبايعة رسول الله الناسَ يوم الفتح على الإسلام، والدر المنثور: سورة الممتحنة)

فكما أن فتح مكة كان من "الآيات المبينات" فكان حوارها هذا أيضًا بمنزلة "الآيات المبينات" لنا، حيث هدى الله تعالى هذه المرأة التي كانت تعادي الإسلام عداء شديدا، فشرح صدرها للإيمان تمامًا حتى إنها اشتركت في حروب المسلمين

* ورد في المصدر المشار إليه قول هند: "والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه من الرجال؟" أما الكلمات التي تحتها الخط فلم نعثر عليها في أي مصدر، غير أن هناك قولاً مشابهًا لزوج هند أبي سفيان حيث ورد أن الزبير بن العوّام قال له يوم الفتح حين كُسر صنمُ هُبَل: "يا أبا سفيان، قد كُسر هُبَل! أما إنك قد كنتَ منه يومَ أُحُد في غرور، حين تزعم أنه قد أنعمَ! فقال أبو سفيان: دَعْ هذا عنك يا ابنَ العوّام، فقد أَرَى لو كان مع إله محمدٍ غيرُه لكان غيرَ ما كان." (كتاب المغازي للواقدي: شأن غزوة الفتح ج ٢ ص ٨٣٢) *(المترجم)*

ضد المسيحيين. كان لها ابن يدعى يزيد وكان أكبر من معاوية وكان مسلمًا مخلصًا جدًا. فخرج ابنها يزيد هذا وزوجُها أبو سفيان، الذي كان عدوا شديد العداء للإسلام في أول الأمر، واشتركا في حرب ضد المسيحيين. وكان عدد المسيحيين أكثر من عدد المسلمين بكثير، وفي إحدى المعارك فر بعض المسلمين من ساحة القتال، وكان ابن هند يزيدُ وزوجُها أبو سفيان من بين هؤلاء الهاربين، فلما ولوا الدبر وجدوا النساء المسلمات وراءهم. والحق أن المسلمين لو لم يتثبتوا في تلك المعركة لم يجد العدو في طريقه أي عائق ولوصل إلى المدينة. فلما رأت هند المسلمين الهاربين جمعت المسلمات الأخريات وقالت لهن: تعالين نقاتل اليوم في سبيل الإسلام. فقلن لها: بماذا نحارب؟ قالت: هناك شيء يمكن أن نستخدمه كسلاح. تعالين نمسك أوتاد الخيام بأيدينا ونتصدى بها المسلمين الفارين ومطاياهم ونقول لهم: يا عديمي الحياء، تفرون من وجه الكافرين. فتصدت هند معهن لهؤلاء الهاربين الذين كان يتقدمهم زوجها أبو سفيان وابنها يزيد. فقالت لزوجها: يا للعار يا أبا سفيان. أنت الذي كنت تخرج في أيام كفرك على بعيرك بكل شجاعة لمحاربة النبي ﷺ، وأما اليوم فتولي الدبر للكافرين المسيحيين وقد أصبحتَ مسلمًا؟ ألا تخجل، ألا تستحي؟ ثم توجهت هند إلى ابنها وقالت له: يا بني، إن عصيّ هذه المسلمات أشد ضربًا من سيوف المسيحيين، فارجع حالاً، ولا تبال بالموت؟ فعادا إلى ساحة القتال على الفور، ورجع معهم كل المسلمين الهاربين، وانقلبت الهزيمة فتحًا عظيمًا.*

فهذه هي هند، التي كانت تعادي الإسلام عداء شديدا، وكانت تحرض الكفار على قتال المسلمين بشعرها، فصدرت الأوامر بقتلها يوم فتح مكة، ولكن قبل أن يُلقى عليها القبض تنضم إلى مجموعة النساء اللواتي جئن يبايعن الرسول ﷺ! فهل كان بوسع أي إنسان أن يتصور قبل هذا الحادث أن هذه المرأة ستعتنق الإسلام في

* هذا الحادث مذكور في "فتوح الشام للواقدي: وقعة اليرموك: تحريض النساء للمسلمين على القتال"، غير أنه لم يُذكر فيه ابن هند. *(المترجم)*

يوم من الأيام وتقدم في سبيله تلك التضحيات الجسيمة، وسيكون لها حظ عظيم في الفتوحات الإسلامية.

إذًا، فلو قرأت التاريخ الإسلامي لشعرت أن كل واقعة من وقائعه كانت آية مبينة بحسب قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَنـــزلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾، وكأنها تقول للمسلمين: إن دخول الناس في دينكم ليس بصعب، لأنَّ الله تعالى مجرد غيب بالنسبة للأديان الأخرى، ولكن دينكم يُري الإنسان قدرات الله الغيبية، فلا يمكن أن تقف أية ديانة في وجه الإسلام.

وهذه الظاهرة لم تنته قط بل هي مستمرة حتى اليوم، حيث وُجد في الإسلام في كل عصر أناس ما زالوا يكشفون نور الإسلام للعالم وفق قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَنـــزلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾. فقد جاء في القرون الإسلامية الأولى الجنيد البغدادي، وعبد القادر الجيلاني، والشبلي، وإبراهيم الأدهم ومحيي الدين ابن عربي وآلاف غيرهم من أولياء الله تعالى، رحمة الله عليهم أجمعين. ثم في القرون الأخيرة جاء المحدث الشاه ولي الله الدهلوي، والخواجه الباقي بالله، ومعين الدين الـــچشتي، وشهاب الدين السهرودي، والخواجه بهاء الدين النقشبندي، ونظام الدين أولياء، والخواجة قطب الدين بختيار الكعكي، وفريد الدين غنج شكر، وسيد أحمد البريلوي، وأحمد السرهندي، رحمهم الله تعالى أجمعين. فكل هؤلاء كانوا من المقربين لدى الله تعالى و﴿آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾، حيث جدد الناس إيمانهم برؤية كل واحد منهم. ثم لما تضاءل نورهم في العصر الحاضر بعث الله تعالى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، فكان واحدة من ﴿آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾. فكل من جلس في صحبته تجلى عليه صدق القرآن الكريم وانكشف عليه صدق محمد رسول الله ﷺ، ولم تستطع قوة إبعاده عن الإسلام.

ذات مرة رُفعت ضده عليه السلام قضية من قِبل "كرم دين" وكان القاضي هندوسيًا، فقام الآريا الهندوس بتحريضه على المسيح الموعود عليه السلام وألحوا عليه أن لا يدَعه عليه السلام ينفلت من يده بدون عقاب؛ فوعدهم بذلك. وبلغ الخبرُ الخواجه كمال الدين فخاف خوفًا شديدًا وجاء إلى المسيح الموعود عليه السلام في غورداسبور حيث

كانت المحكمة وكان حضرته مقيمًا هناك مضطرًا. فقال الخواجه المحترم لحضرته عليه السلام: سيدي هناك أمر مزعج جدًّا، فإن الآريا الهندوس قد أخذوا من القاضي وعدًا بأنه سيحكم عليكم بنوع من العقوبة في كل حال. وكان المسيح الموعود عليه السلام عندها مستلقيًا، فهبَّ من فوره وقال للخواجه المحترم: من ذا الذي يستطيع أن يتشابك مع أسد الله؟ إنني أسد الله، فسأرى كيف يتشابك هذا الهندوسي معي. فحدث كما قال حضرته عليه السلام. لقد رفعت هذه القضية أمام قاضيين مختلفين في محكمتين مختلفتين، وكلاهما قد نـــزل عليه نكال شديد من الله تعالى. فأحدهما طُرد من وظيفته، وأما الآخر فمات ابنه غرقًا في النهر، فصار شبه مجنون حزنًا عليه. وذات مرة رآني في محطة القطار بمدينة "لدهيانه" خلال سفري إلى "دلهي"، فجاءني وقال لي بإلحاح شديد: أرجوك أن تدعو لي بأن يعطيني الله الصبر، فقد ارتكبت أخطاء كبرى، وأخاف أن أصبح مجنونًا. لقد بقي لي ولد آخر، فادعُ الله تعالى أن ينجيني وإياه من المزيد من الدمار.

إذًا، فقد تحقق بكل جلاء قول المسيح الموعود عليه السلام: من ذا الذي يستطيع أن يتشابك مع أسد الله؟ وفشل الآريا الهندوس فشلاً ذريعًا.

هذه هي الآيات المبينات التي يكشف الله تعالى بها صدق أنبيائه. ولكنه تعالى يوضح ويقول ﴿وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.. أي لا شك أن الله تعالى يُري وجهه للناس من خلال الآيات المبينات، ولكن لا يتيسر الصراط المستقيم لأحد إلا بفضل الله تعالى؛ فعلى المرء أن لا يبرح يدعو الله تعالى في تواضع وخشوع بأن يهديه بنفسه إلى الصراط المستقيم، ثم يثبته عليه دومًا؛ ذلك لأن سورة الفاتحة قد صرحت أنه لا يزال هناك خطر ليصبح المرء من الضالين والمغضوب عليهم رغم اطلاعه على الصراط المستقيم، وليس السبيل للخلاص من هذا الخطر إلا أن يخرّ المرء على العتبة الإلهية ويستعين به بالدعاء على الدوام.